



خطبة الجمعة

دكتور خالد بدير



صوت الدعوة

رئيس التحرير
د/ أحمد رمضان
مدير الموقع
أ/ محمد القطاوي

f www.facebook.com/aldo3ah

YouTube www.youtube.com/@doaah

خطبة بعنوان التكافل المجتمعي واجب الوقت

بتاريخ: 25 شعبان 1444هـ - 17 مارس 2023م

عناصر الخطبة:

- أولاً: أهمية التكافل المجتمعي ومنزلته في الإسلام
- ثانياً: صور ومظاهر التكافل المجتمعي .
- ثالثاً: كيف نستقبل رمضان؟

الموضوع

الحمد لله نحمدهُ ونستعينهُ ونتوبُ إليه ونستغفرهُ ونؤمنُ به ونتوكلُ عليه ونعوذُ به من شرورِ أنفسنا وسيئاتِ أعمالنا، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدهُ لا شريكَ له وأنَّ مُحَمَّدًا بَدُهُ ورسولُهُ ﷺ. أما بعدُ:

أولاً: أهمية التكافل المجتمعي ومنزلته في الإسلام

يُعَدُّ التكافلُ المجتمعيُّ من أهمِّ المبادئِ الإسلامية التي يقومُ عليها هذا الدينُ الحنيفُ، ويقصدُ بالتكافلِ المجتمعي: أن يكونَ أفرادُ المجتمعِ مشاركينَ في المحافظةِ على المصالحِ العامةِ والخاصةِ، ودفعِ المفسادِ والأضرارِ الماديةِ والمعنويةِ، بحيثُ يشعرُ كلُّ فردٍ فيه أنه إلى جانبِ الحقوقِ التي له، وأنَّ عليه واجباتٍ للآخرين، وخاصةً الذين ليس باستطاعتهم أن يحققوا حاجاتهم الخاصة، وذلك بإيصالِ المنافعِ إليهم ودفعِ الأضرارِ عنهم.

وقد غرسَ الرسولُ ﷺ هذه المعاني في نفوسِ صحابته الكرام، ومن أبرز هذه الصور، التكافلُ والتضامنُ بين الصحابيِّين الجليلين عبد الرحمن بن عوفٍ وسعد بن الربيع، فعن أنسٍ رضي اللهُ عنه قال: "قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَأَخَى النَّبِيَّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ؛ وَكَانَ سَعْدٌ ذَا غَنَى فَقَالَ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ أَقْسِمُكَ مَالِي نِصْفَيْنِ وَأَزْوَاجُكَ. قَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلُونِي عَلَى السُّوقِ." (البخاري).

فسعدُ بنُ الربيعِ ضربَ لنا أروعَ الأمثلةِ في الإيثارِ والتضامنِ والتكافلِ والتعاونِ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عوفٍ ضربَ لنا أروعَ الأمثلةِ في العفةِ والزهدِ، فما أجملَ مواساةَ وكفالةَ الأنصارِ للمهاجرينِ،

فَعَنَ أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبَدَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلَا أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمِنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ، لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَاءِ، حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالْأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: " لَا مَا دَعَوْتُمْ اللَّهَ لَهُمْ وَأَنْتَيْتُمْ عَلَيْهِمْ". (الترمذي بسند صحيح) .

وهذا مثال آخر في التكافل والبر، فعن أبي موسى قال قال: "النبي ﷺ: إن الأشعريين إذا أرموا في الغزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية، فهم مني وأنا منهم." (متفق عليه).

فأنت ترى من خلال هذه النصوص أن المسلمين كلهم كالفرد الواحد وكالجسد الواحد، تسعد الأعضاء كلها بسعادته وتحزن لحزنه، فعن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله ﷺ: "مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى" (مسلم).

وعن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: "إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، وشبك بين أصابعه." (متفق عليه)؛ وهنا تصوير بلاغي للتضامن بين أفراد المجتمع صورته لنا النبي ﷺ، حيث شبه الأفراد باللبن في الجدار، وشبه المادة التي تمسك اللبن وتشد بعضه بعضاً بالعلاقات والتضامن الذي بين أفراد المجتمع، فإذا فسدت المادة التي تمسك البنيان وتشده فلا شك أن مصيره إلى زوال وانهيار وهدم، وكذلك العلاقات الإنسانية والأخلاقية والتضامن بين أفراد المجتمع إذا فسدت فإن المجتمع مصيره كذلك إلى زوال وانهيار وهدم!! ومن هنا تأتي أهمية التضامن والتعاون والتكافل في بناء المجتمع المسلم القويم.

ثانياً: صور ومظاهر التكافل المجتمعي

للتكافل المجتمعي صور ومظاهر تشمل جميع أطراف المجتمع والدول، من أهم هذه الصور: التكافل بين الأفراد: ولا سيما كفالة الأغنياء للفقراء. فعن أبي سعيد الخدري قال: "بينما نحن في سفر مع النبي ﷺ إذ جاء رجل على راحلة له قال: فجعل يصرف بصره يميناً وشمالاً. فقال رسول الله ﷺ: من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له؛ ومن كان له فضل من زاد فليعد به على من لا زاد له. قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا في فضل." (مسلم).

ومنها: التكافل بين الأبناء والآباء: فإذا كان الأبوان يكفلان أبناءهم في صغرهم وضعفهم، فعلى الأبناء أن يقوموا بكفالة الأبوين، ولا سيما في مرحلة الكبر والشيخوخة، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٌ وَلَا تُنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا * وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيْتَنِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: 23-24].

فإن الله تعالى أمرنا بالإحسان إلى الوالدين وكفالتهم؛ لأنهم في هذه المرحلة في افتقار إلى الرحمة والعناية، وليس من الوفاء أن نكرمهم ونبرهم ونحتفل بهم في يوم واحد، ثم نهملهم وننشغل عن كفالتهم ورعايتهم بقية العام.

وقد كان سلفنا الصالح - رضي الله عنهم - يسعون جاهدين إلى أداء حقوق آبائهم وأمهاتهم، فقد رأى ابن عمر - رضي الله عنهما - رجلاً يطوف بالكعبة حاملاً أمه على رقبته فقال: يا ابن عمر أتري أنني جزيئها؟ قال: لا! ولا بطلقة واحدة ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً. وروي أن رجلاً أتى عمر، فقال: "إن لي أمًا بلغ بها الكبر، أنها لا تقضي حاجتها إلا وظهري لها مطية، أوضئها، وأصرف وجهي عنها، فهل أدبت حقها؟ قال: لا. قال: أليس قد حملتها على ظهري،

وَحَبَسْتُ عَلَيْهَا نَفْسِي؟ قَالَ: إِنَّهَا كَانَتْ تَصْنَعُ ذَلِكَ بِكَ وَهِيَ تَنَّمَى بِقَاعِكَ، وَأَنْتَ تَصْنَعُ ذَلِكَ وَأَنْتَ تَنَّمَى فِرَاقَهَا". (البر والصلة لابن الجوزي).

ومنها: التكافل مع المسنين والضعفاء: فقد اهتم الإسلام اهتمامًا كبيرًا بالمسنين وذوي الشبيبة والضعفاء؛ وذلك لأنهم في مرحلة الضعف العمرية، والإنسان أحوج ما يكون للعون والمساعدة والكفالة في هذه المرحلة، وقد حثنا ﷺ على رعاية المسنين والضعفاء فقال: "إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللَّهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِمِ". (أبو دواد والطبراني بسند حسن). وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: "مَا أَكْرَمَ شَابٌ شَيْخًا لِسِنِّهِ إِلَّا قَيْضَ اللَّهِ لَهُ مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ". (الطبراني والترمذي وقال: حديث غريب).

وقد كان الصحابة رضي الله عنهم يتسابقون إلى ذلك، فقد روى أبو نعيم في «حلية الأولياء» أن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه خرج في سواد الليل فرأه طلحة، فذهب عمر فدخل بيتًا ثم دخل آخر، فلما أصبح طلحة ذهب إلى ذلك البيت فإذا بعجوز عمياء مقعدة، فقال لها: ما بال هذا الرجل يأتيك؟ قالت: إنه يتعهدني منذ كذا وكذا يأتيني بما يصلحني، ويخرج عني الأذى، فقال طلحة: تكلتك أمك يا طلحة أعترات عمر تتبع؟!!

ومنها: التكافل بين الدول: وهو الذي ترسم ملامحه الآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} [الحجرات: 13]، فهي تعلق مبادئ تضامن دولي بموجبه تنتظم كافة المجتمعات الإنسانية في رباط عالمي، هدفه النهائي والحقيقي إقامة مصالح العالمين ودفع المفساد عنهم، وتبادل المنافع فيما بينهم، مادية ومعنوية، علمية وثقافية واقتصادية، مع الحفاظ على خصوصيات وكيان كل مجتمع، دون تهديد لتلك الخصوصيات بما يهدمها أو يلغيها، وأساس ذلك إحساس الجميع بوحدة أصلهم ومنشأهم ومصيرهم. وهكذا يشمل التكافل المجتمعي جميع الأفراد والأسر والمؤسسات والدول، فيعيش الجميع في تراحم وتعاون.

ثالثاً: كيف نستقبل رمضان؟

أيها الإخوة المؤمنون: هناك عدة أمور نستقبل بها شهر رمضان المبارك؛ حتى نكون من الفائزين من أهمها:

الدعاء بأن يبلغك الله شهر رمضان: فندعو الله أن يبلغنا هذا الشهر الكريم، كما كان السلف يفعلون ذلك، فقد كانوا يدعون الله ستة أشهر قبل رمضان أن يبلغهم رمضان، ثم يدعوونه ستة أشهر بعد رمضان أن يتقبل منهم رمضان، وكان يحيى بن أبي كثير يقول: "اللهم سلمنا إلى رمضان، وسلم لنا رمضان، وتسلمه منا متقبلاً".

ومنها: التخليقة قبل التحلية: فالقلوب مملوءة بالسواد والظلمة طوال العام من أثر الذنوب والمعاصي، فعن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: "إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِنَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سَقَلَ قَلْبُهُ وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبَهُ وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (الترمذي وصححه)، فتخيل كيف حال قلبك بعد أحد عشر شهراً من المعاصي والآثام؟! فيجب أن نخلي القلب ونجليه ونطهره من هذه الآثام والظلمات، قبل أن نحليه بالعبادة والطاعة، فلا يجوز أن ندخل القرآن والصلاة والذكر على مثل هذه القانورات، حتى نطهر القلب منها.

ومنها: إصلاح ذاتِ البين: فكثيرٌ منّا - إلا من رحمَ الله - بينه وبين أخيه أو صديقه أو زميله أو أحدِ أقاربه أو جيرانه خلافٌ وشقاقٌ وخصامٌ وشحناءٌ وبغضاءٌ، ولا شكَّ أنّ ذلك سببٌ عائقٌ ومانعٌ لرفع الأعمالِ وحجبِ المغفرةِ والرحماتِ والبركاتِ، فعن أبي هريرةَ أنّ رسولَ الله ﷺ قال: "تُفْتَحُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّى يَصْطَلِحَا" (مسلم) . ويقولُ ﷺ: "ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيامِ والصلاةِ والصدقةِ؟ قالوا: بلى، قال: "إصلاح ذاتِ البين، فإنّ فسادَ ذاتِ البين هي الحالقة، لا أقول: تحلقُ الشعرَ، ولكن تحلقُ الدين". (أبو داود بإسناد صحيح) .

فالعبدُ يجتهدُ في الصيامِ والقيامِ وقراءةِ القرآنِ وصلةِ الأرحامِ والإنفاقِ وغير ذلك من القربات، وكلُّ ذلك يحلِّقُه الخصامُ والشحناءُ والبغضاءُ وفسادُ ذاتِ البين، بل إن أعماله لا ترفع ولن يغفرَ الله حتى يصلحَ مع أخيه.

روى عن ابن مسعودٍ أنّه سُئِلَ: كيف كنتم تستقبلون شهرَ رمضان؟ فقال: ما كان أحدنا يجرؤُ أن يستقبلَ الهلالَ وفي قلبه مثقالُ ذرةٍ حقدٍ على أخيه المسلمِ.

ومنها: التكافلُ والكرمُ والجودُ: لأنَّ شهرَ رمضانٍ يمتازُ بأنَّه شهرُ المواساةِ والتراحمِ والجودِ والكرمِ والتكافلِ بينَ المسلمين، حيثُ حثَّ الإسلامُ على الصدقةِ في هذا الشهر توثيقاً لرابطةِ المسلمين بعضهم مع بعض، وسداً لحاجةِ الفقراءِ والمساكين. ولهذا السببِ " كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناسِ ، وكان أجوداً ما يكونُ في رمضانَ حينَ يلقاهُ جبريلُ ، وكان يلقاهُ في كلِّ ليلةٍ من رمضانَ فيُدارسُهُ القرآنَ ، فلرسولُ الله ﷺ أجودُ بالخيرِ من الريحِ المُرسلةِ " . (البخاري) .

وقد سُئِلَ أحدُ السلفِ: "لم شرعَ الصيامُ"؟ قال: "ليذوقَ الغنيُّ طعمَ الجوعِ، فلا ينسى الجائعُ". وكان ابنُ عمرَ - رضي الله عنهما - يصومُ ولا يفطرُ إلا مع المساكين، فإذا منعهم أهلُه عنه لم يتعشَّ تلكَ الليلة، وكان إذا جاءه سائلٌ وهو على طعامه أخذَ نصيبه من الطعامِ، وقامَ فأعطاه السائلَ، فيرجعَ وقد أكلَ أهلُه ما بقيَ في الجفنةِ، فيصبحَ صائماً ولم يأكلَ شيئاً.

قال الإمامُ الشافعيُّ: "أحبُّ للرجلِ الزيادةُ بالجودِ في شهرِ رمضانَ اقتداءً برسولِ الله ﷺ ولحاجةِ الناسِ فيه إلى مصالحهم، ولتشاغلِ كثيرٍ منهم بالصومِ والصلاةِ عن مكاسيهم". [لطائف المعارف].
فللهُ درُّ تلكَ النفوسِ ما أجودها وما أكرمها وما أسخاها! وما أشدَّ إيثارها! وما أعظمَ رغبتها فيما عندَ مولاها!

فما أحوجتنا إلى التكافلِ المجتمعي ولا سيمًا وقتُ الشدائدِ والأزماتِ، ونحن مقبلونَ على شهرِ الجودِ والبركاتِ.

نسألُ الله أن يبارك لنا في شعبانَ وأن يبلغنا رمضانَ، وأن يحفظَ مصرنا من كلِّ مكروهٍ وسوءٍ ،

الدعاء،،، وأقم الصلاة،،، كتبه : خادم الدعوة الإسلامية

د / خالد بدير بدوي

الدعاة الإخبارية



جريدة صوت

www.doaah.com

www.youtube.com/doaahNews1

صوت الدعوة

رئيس التحرير د / أحمد رمضان

مدير الجريدة أ / محمد القطاوى



www.doaah.com + facebook.com/aldo3ah

youtube.com/doaahNews1